هذه الجملة معطوفة على جملة : (أفغير ا أبتغي حكما) لأن تلك الجملة مقول قول مقدر إذ التقدير : قل أفغير ا أبتغي حكما باعتبار ما في تلك الجملة من قوله : (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا) فلما وصف الكتاب بأنه منزل من ا ووصف بوضوح الدلالة بقوله : (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا) ثم بشهادة علماء أهل الكتاب بأنه من عند ا بقوله : (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك) أعلم رسوله E والمؤمنين بأن هذا الكتاب تام الدلالة ناهض الحجة على كل فريق : من مؤمن وكافر صادق وعده ووعيده عادل أمره ونهيه . ويجوز أن تكون معطوفة على جملة : (جعلنا لكل نبي عدوا) وما بينهما اعتراض كما سنبينه .

والمراد بالتمام معنى مجازي : إما بمعنى بلوغ الشيء إلى أحسن ما يبلغه مما يراد منه فإن التمام حقيقته كون الشيء وافرا أجزاءه والنقصان كونه فاقدا بعض أجزائه فيستعار لوفرة الصفات التي تراد من نوعه ؛ وإما بمعنى التحقق فقد يطلق التمام على حصول المنتظر وتحققه يقال : تم ما اخبر به فلان ويقال : أتم وعدهن أي حققه ومنه قوله تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) أي عمل بهن دون تقصير ولا ترخص وقوله تعالى : (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) أي ظهر وعده لهم بقوله : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) الآية ومن هذا المعنى قوله تعالى : (وا متم نوره) أي محقق دينه ومثبته لأنه جعل الإتمام في مقابلة الإطفاء المستعمل في الإزالة مجازا أيضا .

وقوله (كلمات ربك) قرأه الجمهور بصيغة الجمع وقرأه عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف : كلمة بالإفراد فقيل : المراد بالكلمات أو الكلمة القرآن وهو قول جمهور المفسرين ونقل عن قتادة وهو الأظهر المناسب لجعل الجملة معطوفة على جملة : (والذين آتيناهم الكتاب) . فأما على قراءة الإفراد فإطلاق الكلمة على القرآن باعتبار أنه كتاب من عند ا فهو من كلامه وقوله والكلمة والكلام يترادفان ويقول العرب : كلمة زهير يعنون قصيدته وقد أطلق في القرآن " الكلمات " على الكتب السماوية في قوله تعالى : (فآمنوا با ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن با وكلماته) أي كتبه . وأما على قراءة الكلمات بالجمع فإطلاقها على القرآن باعتبار ما يشتمل عليه من الجمل والآيات أو باعتبار أنواع أغراضه من أمر ونهي وتبشير وإنذار ومواعظ وإخبار واحتجاج وإرشاد وغير ذلك . ومعنى تمامها أن كل غرض جاء في القرآن فقد جاء وافيا بما يتطلبه القاصد منه . واستبعد ابن عطية أن يكون المراد من (كلمات ربك) بالجمع أو الإفراد القرآن واستظهر أن المراد منها : قول ا أي نفذ قوله

وحكمه . وقريب منه ما أثر عن ابن عباس أنه قال : كلمات ا وعده . وقيل : كلمات ا : أمره ونهيه ووعده ووعيده وفسر به في الكشاف وهو قريب من كلام ابن عطية لكن السياق يشهد بأن تفسير الكلمات بالقرآن أظهر .

وانتصب (صدقا وعدلا) على الحال عند أبي علي الفارسي بتأويل المصدر باسم الفاعل أي صادقة وعادلة فهو حال من (كلمات) وهو المناسب لكون التمام بمعنى التحقق . وجعلهما الطبري منصوبين على التمييز أي تمييز النسبة أي تمت من جهة الصدق والعدل فكأنه قال : تم صدقها وعدلها وهو المناسب لكون التمام بمعنى بلوغ الشيء أحسن ما يطلب من نوعه .

وقال ابن عطية : هذا غير صواب . وقلت : لا وجه لعدم تصويبه .

والصدق : المطابقة للواقع في الإخبار وتحقيق الخبر في الوعد والوعيد والنفوذ في الأمر والنهي فيشمل الصدق كلما ما في كلمات ا من نوع الإخبار عن شؤون ا وشؤون الخلائق .

ويطلق الصدق مجازا على كون الشيء كاملا في خصائص نوعه .

والعدل : إعطاء من يستحق ما يستحق ودفع الاعتداء والظلم على المظلوم وتدبير أمور الناس بما فيه صلاحهم . وتقدم بيانه عند قوله تعالى : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) في سورة النساء .

فيشمل العدل كل ما في كلمات ا : من تدبير شؤون الخلائق في الدنيا والآخرة .

A E